

الإصلاحات الداخلية في عهد الوليد بن عبد الملك

اتسم عهد الوليد بأنه عهد فتح ويسر ورخاء بعد أن استتب الأمن والنظام في الداخل ، وأصلحت الإدارة وشؤون الحكم ووضعت القواعد السليمة للأجهزة الحكومية ، فاستثمر الوليد ذلك وانصرف إلى الإصلاح الداخلي والتوسع في الخارج . ومما لا شك فيه أن الوليد كان ميالاً للعمارة ، لذلك اهتم بإصلاح الطرق وتسهيل السبل ، ، وقد حقق في هذا المضمار أكثر مما حققه سواه . فكتب إلى عامله في المدينة عمر بن عبد العزيز بتسهيل الثنايا وحفر الآبار ، كما كتب إلى سائر الولاة بذلك ، إلا أن أهم إنجازاته الداخلية ما نفذه من توسيع الحرم النبوي والجامع الأموي . أما فيما يتعلق بالحرم النبوي فقد أمر عامله على المدينة عمر بن عبد العزيز بتوسيع بناء المسجد النبوي ، وذلك بهدم بيوت أزواج النبي وإدخالها في المسجد وأن يشتري الدور الواقعة حوله فيزيدها فيه ليتسع ويكون مائتي ذراع في مثلها ، ومن أبي فليقوم داره قيمة عدل و تهدم ويدفع إليه ثمنها ، وأرسل إليه العمال والبنائين من الشام . ونفذ عمر قرار الخليفة فأدخل في المسجد جميع حجر أزواج النبي . وبنى الوليد الجامع الأموي بين أعوام (٨٨ - ٩٩ هـ / ٧٠٧ - ٧١٥ م) وكان أول من اختطه أبو عبيدة بن الجراح وقد تأثق في بنائه حتى ذكر أنه أنفق على عمارته خراج دولته سبع سنين . وجيء بالصناع والفنانين من الهند وفارس والقسطنطينية ومصر والمغرب ، واستخدم في بنائه اثني عشر ألف عامل ، فكان أفخم بناء في بلاد المسلمين لا يضارعه بناء غيره ، كما اعتبر آية من آيات الفن العربي .

وقد أعجب كل من المهدي والمأمون ، من الخلفاء العباسيين بهذا الطراز من البناء . فعندما دخل الخليفة العباسي المهدي مدينة دمشق في طريقه إلى بيت المقدس أعجب بمسجدها وقال لكتابه : « سبقنا بنو أمية بثلاث : بهذا المسجد لا أعلم على وجه الأرض مثله ، وبنبل الموالي ، وبعمر بن عبد العزيز ، لا يكون والله فينا مثله أبدا » .

ولما دخل الخليفة المأمون دمشق ونظر إلى جامعها وكان معه أخوه المعتصم وقاضيه يحيى بن أكثم ، قال : « ما أعجب ما فيه » فقال أخوه : « هذه الأذهاب التي فيه » ، وقال يحيى : « الرخام وهذه العقد » ، فقال المأمون : « إني إنما أعجب من حسن بنيانه على غير مثال متقدم » .

وحسن الوليد مدينة دمشق وأوصل الماء إلى كل بيت من البيوت الكبيرة فيها عبر أقبية من نهر بردى .